مجلة "آفاق فكرية"

ص. ص. 190 - 200

رت م د: 2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

الأوبئة والأمراض في الجزائر خلال القرن الأول من الاحتلال الفرنسي

Epidemics and diseases in Algeria during the first century of French colonialism

مدربل مصطفى الأمين

جامعة الجيلالي ليابس بسيدي بلعباس (الجزائر)، مخبر الجزائر تاريخ ومجتمع، mustaphaaminemederbel@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-06-11 **تاريخ القبول:** 2023-03-21 **تاريخ النشر:** 2023-05-05

ملخص:

لقد شهدت الفترة الاستعمارية تدهورا كبيرا في الوضع الصحي والاجتماعي للجزائري وهو ما ساهم في انتشار مجموعة من الاوبئة والامراض التي ساهمت في القضاء على المئات من الجزائريين، ويمكن ارجاع سبب تلك الأمراض إلى مجموعة من العوامل الطبيعية والانسانية إلا أن السبب الرئيسي فيها يمكن إرجاعه إلى الاستعمار والذي لعب دورا فعالا في ايجاد مناخ ملائم لانتشار تلك الأوبئة وذلك لسياسته الداعية لنشر الفقر والمجاعة والتي ساهمت في ظهور مجموعة كبيرة من الأمراض أرهقت الجزائريين إلا أنه يمكن إرجاع تاريخ بعض الأمراض إلى فترة الحكم العثماني ومن بين تلك الأمراض يمكن ذكر وباء الطاعون والكوليرا اللذان كانا سببا في قتل العديد من الجزائريين بالإضافة لتلك الأوبئة شهدت الجزائر العديد من الأمراض جاءت نتيجة للعديد من الأسباب والعوامل طوال الفترة الاستعمارية.

كلمات مفتاحية: الأوبئة، الأمراض، الاستعمار، الوضع الصحي، المجاعات

Abstract:

The colonial period witnessed a significant deterioration in the health and social situation of the Algerian، which contributed to the spread of a number of epidemics and diseases that contributed to the elimination of hundreds of Algerians . The cause of these diseases can be attributed to a group of natural and human factors However، the main reason for it can be traced back to colonialism And who played an effective role in creating a suitable climate for the spread of these epidemics، due to his policy calling for spreading poverty and starvation Which contributed to the emergence of a wide range of diseases that exhausted the Algerians throughout the colonial period However، the history of some diseases can be traced back to the period of Ottoman rule، and among those diseases we can mention the plague and cholera epidemic، which killed many Algerians. In addition to these epidemics، Algeria witnessed many diseases that came as a result of many causes and factors throughout the colonial period.

Keywords: Epidemics، diseases، colonialism، health status، famine.

مقدمة:

إن المتتبع للوضع الاقتصادي والاجتماعي في الجزائر خلال بدايات الاستعمار يرى بأنها لم تكن تخلو من التدهور حيث شهدت انتشارا للفقر والمجاعات وكذا السياسة الهمجية التي اتبعها الاستعمار والتي كان القصد بها افقار وتجويع وتجهيل المجتمع الجزائري مما ساهم في التأثير سلبا على الحياة الاجتماعية والصحية للجزائريين وترك آثار سيئة في حياتهم وبفعل هاته العوامل انتشرت مجموعة من الأمراض والمجاعات وهذا كله راجع لتراجع الوضع الصحي الحسن بينهم وكذا تهميش الفرنسيين لحالة الجزائريين الصحية وخاصة بعد انتشار مجموعة من الأمراض والأوبئة الفتاكة والتي ضربت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية كالطاعون والكوليرا والجدري والتيفوس وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذه الأوبئة كانت الأكثر فتكا بالجزائريين، بسبب توفّر أرضية الفقر وسوء التغذية وانعدام النظافة التي ساعدت على انتشار هذه الأوبئة والتي لعبت دورا هاما في موت المئات من الجزائريين في تلك الفترة كما أن الاستعمار أيضا ساهم في تردي الوضع الصحي وخاصة في لعبه دورا رئيسيا في نشر بعض الأمراض بين الجزائريين بقصد أو من غير قصد، إلا أن فترة القرن الأول من الاستعمار الفرنسي شهدت انتشارا واسعا لمجموعة من الأمراض كانت بعضها أيضا امتدادا لفترة الحكم العثماني، كما أن الآفات والعوامل الطبيعية كانت عاملا فعالا في التأثير على الوضع الصحي في الجزائر، كما أن انحصار المراكز الصحية في تلك الفترة على الملاجئ والمصحات الصغيرة والتي كان يمنع الجزائري من اللجوء إليها في أغلب الاحيان ساعدت في بسط رقعة تلك الأوبئة على نطاق واسع من الجزائر والتي ساهمت في تفكيك بنية المجتمع الجزائري وقد حاولنا الإحاطة بموضوع الدراسة من كل جوانبه ولهذا حاولنا طرح إشكالية تشمل موضوع الدراسة آلا وهي:

ماهي الأمراض والأوبئة التي شهدتها فترة الاستعمار الفرنسي؟

وللإجابة على هاته الإشكالية اعتمدنا على المنهج التاريخي لأجل تتبع الأحداث التاريخية كما اعتمدنا على المنهج الوصفي وذلك لأجل اعطاء صورة تفصيلية لتلك الأمراض والأوبئة بالإضافة للمنهج الإحصائي وذلك لإعطاء مجموعة ممن الإحصاءات حول نتائج تلك الأمراض والأوبئة على المجتمع الجزائري .

1. الأمراض:

شهدت الجزائر في البدايات الأولى من الاستعمار مجموعة من الأمراض الخطيرة كان لها أسوء الأثر على الوضع الصحي والديموغرافي للبلاد، لأنها كانت تعود بصفة دورية ومتكررة والبعض منها يأخذ طابع الوباء أحيانا كما أنها اختلفت وتعددت من حيث تأثيرها وشده فتكها وانتشارها ومن هاته الأمراض الامراض الصدرية والتي تعتبر من الأمراض الخطيرة التي كان لها تأثير كبير في الشعب الجزائري بمختلف أنواعها وهي من بين أكثر الأمراض انتشارا وفتكا بالجزائريين ونجد منها السل الرئوي Phtisie Pulmonaire وهو مرض خطير ومعد متوطن، وترجع العدوى إلى تغلغل جرثومة تسمى عصبية كوخ (BK) وهي تنتشر في جسم الإنسان وتتضاعف بداخله وتعتبر شديدة المقاومة بحيث أنها تحافظ على خطورتها لعدة أشهر وهي لا تتحمل الحرارة فهي تموت بمجرد تعرضها لأشعة الشمس، وتنتقل هاته الجرثومة عن طريق اللعاب فبعدما يتحدث المصاب أو يعطس أو يسعل ينبعث من فمه رذاذ فلوج (Flugge) فيستنشقها أشخاص آخرون، ويعد هذا السبب المباشر لمرض السل معديا جدا وخطيرا (علامة، 2015، ص.66) وقد كان هذا المرض يبلغ ذروته خلال الأشهر الباردة (جانفي، فيفري، مارس، أفريل) وتخف حدته خلال فصل الصيف (جوان، جويلية، أوت) ومن العوامل المساهمة في ظهوره الرطوبة المطلقة الموجودة في المناطق السهلية بالإضافة إلى عوامل أخرى منها قلة التغذية ونقص الضوء وانعدام النظافة والمساكن الهشة والاكتظاظ والرطوبة والهواء الفاسد وسوء والتهوية ومختلف أشكال الحرمان هذه العوامل مجتمعة تسببت في انخفاض المناعة الطبيعية لدى الأفراد وخلق بيئة مواتية لبقاء الجرثومة واستمرارها دخل هذا المرض إلى الجزائر مع الأفواج الأولى من المستوطنين واستمر يفتك بالسكان ويحدث عددا هائلا من الوفيات طيلة فترة الاحتلال منها فترة 1840/ 1857 حيث تم تسجيل 623 حالة وفاة ، وفي الفترة ما بين 1852 و1859 تم تسجيل 1339 إصابة بالسل الرئوي توفي منهم 613 شخص، كما تم تسجيل 1109 حالة وفاة في الفترة ما بين 01/01/1886 و31/01/1896 في مدينة الجزائر، وما يجدر الإشارة إليه أن الأطباء الأوروبيين ومن بينهم الطبيب العسكري (مايو) (Maillot) يشير أن حالات السل كانت منعدمة في الجزائر قبل الاحتلال (خياطي، 2013، ص.177)، لكن بعد دخول فرنسا انتشر المرض بين الجزائريين وساعدت في ذلك السياسة الاستعمارية التي ساهمت في بؤس الشعب كما شهدت الجزائر أيضا نوعا آخر من الأمراض وهي الأمراض الجلدية وقد شهدت الجزائر خلال العهد الفرنسي العديد من الأمراض الجلدية الخطيرة من أهمها الزهري (Syphils)

وهو مرض جلدي معدي يصيب الإنسان، تنتقل العدوى عن طريق الممارسات الجنسية وتسببه جرثومة "تريبونيما" (Treponema Pollidum) (خوجة حمدان بن عثمان، 1982، ص.67)، ومن بين أعراضه الصلع تساقط الأسنان مع ظهور تقرحات في الأنف وأجزاء من الوجه والأعضاء التناسلية ومما يجدر الإشارة إليه أن هذا الداء دخيل على المجتمع الجزائري وصل إليه عن طريق الأوروبيين خلال القرن السادس عشر ميلادي (سعد الله أبو القاسم، 2009، ص.169) ومن العوامل المساعدة على ظهوره وانتشاره في الجزائر في الفترة الاستعمارية انتشار الدعارة وإنشاء بيوت خاصة لهذه الممارسات من قبل الجيش الفرنسي للترويح عن جنوده و تجريد الأهالي من ممتلكاتهم ما أدى إلى ظهور المومسات بين الأهالي بسبب الجوع الذي ادى بهم الى الدعارة وعن طريق الحوامل أي من الأم المصابة إلى الجنين وبسبب الانتشار الواسع لهذا الداء قررت السلطات الفرنسية مواجهة الدعارة والمراقبة الطبية للمومسات وتأسيس مستشفى لعلاج هذا المرض سنة 1844 في كل من البليدة وقسنطينة كما برز أيضا داء الفيل أو الجذام (Eléphantiasis) وهو مرض عضال سمي بالجذام لتجذم الأصابع وتقطعها، وهو تضخم في العضو وتصلب البشرة والنسيج الخلوي والأوردة اللمفاوية، وقد اتفق الأطباء الفرنسيون على أن سبب هذا المرض هي الظروف الطبيعية والإقامة في الأماكن الرطبة والسير بأرجل حافية وبرودة الليل بعد نهار ساخن (Armand, 1854, p.54) وكان هذا المرض منتشرا بكثرة في الجزائر خلال القرن التاسع عشر وقد مس مختلف الطبقات الاجتماعية خاصة كبار السن وشهد الجزائريون (خوجة حمدان بن عثمان، 1988، ص.89) كما برزت أيضا أمراض العيون بحيث كشفت التقارير الصحية لبداية الاحتلال تقارير تشير بانتشار أمراض العيون بشكلها المعدي الوبائي، ومن أشهر أمراض العيون التي انتشرت في الجزائر المستعمرة خلال فترة القرن التاسع عشر الرمد الحبيبي (Ophalmie Granulese) الذي يعتبر أخطر أمراض العيون وأكثرها انتشارا في الجزائر وبكون هذا المرض يظهر بصورة مفاجئة ويتطور بسرعة وينتشر بفعل العدوى فقد كان يأخذ طابع الوبائي ومن العوامل المساعدة على ظهوره نجد التكتل السكاني في منطقة واحدة صغيرة والمستوى المعيشي المنخفض وسوء التغذية وانعدام النظافة وعدم إتباع القواعد الصحية، ويقول الدكتور بروك (Bruck) (أن الرمد الحبيبي هو مرض الفقراء) (Armand, 1854, p.82) إلى جانب ذلك كانت التغيرات القسوى لدرجة الحرارة والتغير المفاجئ من الحرارة العالية إلى الرطوبة الباردة مثل ما حدث في البليدة سنة 1847، ومن الأسباب أيضا الرياح القوية المحملة بالغبار والرمال مثل رياح السيروكو التي تضر بالعيون ومثال ذلك ما حدث في مدينة تنس

في أوت 1847 إثر هبوب رياح قوية من الشرق وقد كان يصاب بهذا المرض في الجزائر خمسة وعشرون شخص من بين كل عشرة آلاف ساكن في شمال البلاد أما الجنوب فكان يصاب 100 شخص من بين كل عشرة آلاف ساكن وهكذا تضاف أمراض العيون إلى عدد من الأوبئة والأمراض التي أصابت الجزائريين خلال الحقبة الاستعمارية وزادت من معاناتهم ومن بين تلك الأمراض أيضا الحمى وقد تعرضت الجزائر خلال القرن التاسع عشر لمختلف أنواع الحمى مثل حمى المستنقعات أو الملاريا (Paludisme Malaria) وهي مرض معدي تتسبب فيه جرثومة (لافران) (Domart & Bourneu, 1981, p.p.422, 423) وحملت اسم مكتشفها "الفونس لافران" (Alphonso Lavéran) عام 1881 بالمستشفى العسكري بقسنطينة (Papper, 1891, p.276) حيث تنتقل هاته الجرثومة إلى الإنسان عن طريق لدغة بعوضة الأنوفيل (Anophèle) التي تنشأ حيث توجد المياه العكرة ويظهر هذا المرض في نهاية الربيع والصيف وبداية الخريف، إذ تساعد في ظهوره العوامل الطبيعية أكثر من غيرها كالحرارة والرطوبة خاصة وتعتبر منطقة متيجة آنذاك أكثر المناطق إصابة بهذا النوع، حيث يقول عنها حمدان خوجة "... إني أزور هذا السهل مرة في ربيع كل سنة لأني أخشى الحمى في الفصول الأخرى ... إن هذا السهل يشبه الغدير في الشتاء وفي الخريف والصيف تستوطنه الحمى باستمرار ..." (خوجة حمدان بن عثمان، 1982، ص.49) كما أضر هواء متيجة بسكان المناطق المجاورة فمع حلول فصل الصيف تشتد عملية التبخر مشكلة الضباب الكثيف فوق سطوح المستنقعات لتحمله الرياح إلى المناطق المجاورة وفي بداية الاحتلال وجد الأوروبيون الوضع كارثيا في الجزائر، خصوصا من متيجة إلى بونة إلى سكيكدة إلى المقطع إلى واد الصومام إلى سطاوالي، وهذا ما دفع بالقادة العسكريين إلى التشكيك في جدوى الاحتفاظ بالسيطرة الفرنسية على الجزائر (خياطي، 2013، ص.ص.97،99) حيث أشارت تقارير وزارة الحربية إلى الأضرار الجسيمة الذي سببها هذا المرض في صفوف الجيش الفرنسي، لدرجة سميت متيجة بتابوت الفرنسيين ومن السنوات التي بلغ فيها هذا المرض ذروته سنوات 1831، 1832، 1834 إلا الطبيب العسكري كليمان مايو (Clément Mai) استطاع في سنة 1834 تقليص وفيات الملاريا وذلك بإعطاء المرضى المصابين جرعة كبيرة من كبريتات الكينين (Quevauvilliers, 2007, p.401). فحقق نتائج مرضية للغاية بحيث تراجعت الوفيات في عام 1835 إلى 7,3% مقابل 23% في عام 1833 واعتبر هذا الإنجاز الطبي حاسما لأنه أعاد إحياء شهية الاستيطان وسهل مهمة الاحتلال وفي سنوات 1838 - 1939- 1840 ظهر المرض مجددا في منطقة متيجة، حيث دام ثلاث سنوات وذلك لارتفاع الحرارة

فوق معدلها المعهود وأيضا عمليات الحرث والاستصلاح وفيضانات فصل الشتاء، كما كانت هناك فترات هدوء دامت سنوات عديدة خفت فيها العدوى تدريجيا وهي سنوات 1860/ 1887/ 1888 / 1889 وبهذا ظهرت قلة في عدد المصابين بهذا المرض في أواخر القرن التاسع عشر مقارنة بالفترات السابقة كما ظهرت أيضا حمى التيفويد (Fiévre Typhoide) وهي عدوى جرثومية تصيب الجهاز الهضمي وتنتشر عبر الدم لتصيب العديد من الأعضاء و يمكن القول أن السبب الرئيسي لحمى التيفويد هو ميكروب السلمونيلا التيفية Salmonella Typhi التي تعيش في أمعاء المريض وتتكاثر عند قضاء الحاجة البشرية، وتأتي هذه البكتيريا عن طريق مياه الشرب الملوثة و من أعراض هذا المرض ارتفاع درجة حرارة الجسم وانخفاض في معدل ضربات القلب وظهور طفح جلدي وردي اللون وانتفاخ وتضخم في الطحال كما يظهر هذا المرض على العموم في كل شهور السنة إلا أنه يزداد حدة في شهر أوت، سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ومن أهم السنوات التي أصيبت فيها الجزائر بهذا المرض سنة 1840 أين سجلت 48 حالة أغلبهم أقل من 24 سنة، كما تم تسجيل 36 حالة في مستشفى البليدة عام 1842 إضافة إلى حالات عديدة خلال سنوات 1857/ 1858/ 1859 أين أودت بحياة 175 شخص من مدينة الجزائر وحدها، وظهرت هذه الحمى أيضا في سنوات المجاعة والكوارث الطبيعية في 1864 – 1868 كما سجلت في سنة 1890 (36) حالة في مدينة قسنطينة أين أودت بحياة 18 شخص وفي سنة 1891 تم تسجيل 16 حالة وفاة ليرتفع العدد إلى 24 وفاة سنة 1892، وفي سنة 1896 تم تسجيل 15 حالة وفاة، وحسب الطبيب ماركايو (Marcailliou) أن السبب في إنتشار هذا المرض هو الاكتظاظ السكاني وتلوث مياه واد الكبير (Crespin, 1901, p.42).

2. الأوبئة:

عرفت الجزائر انتشارا كبيرا وخطيرا للأوبئة خلال الفترة الاستعمارية حيث فتكت بعدد كبير من السكان في الجزائر من بينها وباء الطاعون LA PESTE والذي يعتبر من أخطر الأوبئة وأفتكها وقد كان طاعون السبع سنوات (1816— 1822) من أشهرها (عائشة غطاس، 1983، ص.24)، إلا أن هذا الوباء اختفى من البلد مع نهاية سنة 1822 ولم يعد للظهور إلا خلال فترة الاحتلال الفرنسي وكان طفيف مقارنة بفترة الحكم العثماني، حيث لم يظهر بتاتا طول المرحلة السابقة وهو مرض معدي وخطير تتسبب فيه جرثومة اليارسين (yaracin) التي تعيش وتتكاثر في جسم بعض القوارض خاصة الفئران، إلا أنه ظهر سنة 1835 بقسنطينة (خياطي، 2013، ص.61) مخلفا 1500

ضحية، حيث اجتاح مدينة وهران بسبب الحملات العسكرية الفرنسية ثم انتقل إلى عمالة الوسط ثم وصل إلى عمالة الشرق وفي شتاء 1852 - 1853 تعرضت منطقة مليانة للطاعون (خياطي، 2011، ص.55)، لينقطع فيما بعد ثم يعود إلى الظهور نهاية القرن التاسع عشر حيث ظهر نوع آخر هو الطاعون الدملي (Caron & Alvodo, 1989, p.583) ببسكرة سنة 1899 وعليه يمكن القول أن وباء الطاعون في الفترة الاستعمارية كان أقل انتشارا مقارنة بالعهد العثماني أما وباء التيفوس (Typhus) الذي يعتبر أحد أخطر الآفات التي عرفتها الجزائر بعد الطاعون والكوليرا فقد شهد انتشارا واسعا (خياطي، 2013، ص.107) وهو مرض معدي ابتليت به الجزائر في شكل وباء مستوطن ، وتعتبر جرثومة ريكيتسيا بروفازيكي Rickettsia Prowazekii سببا رئيسيا للمرض الذي ينقله القمل إلى الإنسان ومن أبرز عوامل ظهوره البؤس والفقر التي تخلفه الحروب والآفات الطبيعية كالجفاف والفيضانات والأمطار الطويلة المدى والمتدبدبة إلى جانب زحف الجراد وسوء التغذية وانعدام النظافة غياب الوقاية الصحية، لهذا اتفق المؤرخون على تسمية هذا الوباء مرض الفقراء أيضا وانتشر هذا الوباء بصورة رهيبة في الجزائر لأن الظروف المشجعة على ظهوره كانت ملائمة ومن أهم الفترات التي أصيبت بها الجزائر بهذا الوباء هي الفترة حيث أعلن على الوباء لأول مرة سنة 1861 في منطقة بجاية وبعض دواوير بلاد القبائل (Merz, 1982, p.07) بتسجيل 162 وفاة من مجموع 330 إصابة بمعدل وفيات وصلت نسبته إلى 50 % واجتاح قسنطينة في 1863 ومس خاصة اليهود في المدينة، كما ظهر الوباء في السنوات الحالكة في التاريخ الاجتماعي والصحي والديموغرافي للجزائر وهي سنوات (1867/1868)، حيث كان نتيجة حتمية لما عاشه الشعب الجزائري في تلك الفترة من جفاف وزحف للجراد وما نتج عنهما من مجاعة رهيبة (خياطي، 2013، ص.110)، فتكونت مراكز للتيفوس في الأرياف والمناطق الداخلية ففر السكان إلى المراكز الأوروبية طلبا للغذاء مما أدى إلى انتشار الوباء، ثم استمر الوباء في الانتشار إلى غاية (1869/1870) وتوفي جراء ذلك عدد من الأخوات البيض القائمين بالعلاج، ليختفي الوباء بعد ذلك ويعود للظهور من جديد بشكل طفيف في 1885 في مدينة الجزائر، وعام 1888 في منطقة القبائل، وبحلول عام 1894 تجدد الحديث عن ظهور بؤر أخرى للوباء في بجاية وباتنة وقسنطينة والجزائر العاصمة (Merz, 1982, p.09) كما عرفت الجزائر أيضا ظهور وباء آخر هو وباء الجدري (Variole) الذي يعتبر مرضا شديد العدوى تسببه جرثومة بوكس فيروس (Poxvirus) وهو يظهر على شكل بثور حمراء على الجسم ثم تتحول هذه البثور إلى حويصلات صلبة مرفقة بارتفاع شديد في درجة

الحرارة تاركة تشوهات وعاهات على جسم الإنسان كما يؤدي حتى إلى الوفاة (Caron & Alvodo, 1989, p.1014) ويعتبر الأطفال هم الفئة الأكثر تضررا منه وقد تأصل هذا المرض في البيئة الجزائرية منذ افدم العصور، حيث أرجع المؤرخون وجود هذا الوباء في الجزائر إلى أكثر من 3000 سنة واعتبروه من أخطر الأمراض التي فتكت بالسكان، و هذا الوباء يمكن القول أنه يخمد من حين لآخر ثم يعود بشدة وتواتر، إذ كان يصيب البلاد مرة كل 4 سنوات تقريبا، حيث عانى منه سكان الجزائر أثناء الفترة العثمانية، وخلال السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي للبلاد، حيث ظهر ما بين جانفى 1831 ودام إلى غاية 1833 مخلفا عددا كبيرا من الضحايا ثم عاد سنة 1837 لينتشر بسرعة كبيرة وسط الجزائريين مخلفا عددا كبيرا من الوفيات (Bertherand, 1855 p.433) وفي عام 1838 أشير إلى ظهور الوباء مجددا بضواحي جيجل، ثم انتشر عبر المناطق الساحلية الشمالية للبلاد، وفي عام 1840 ظهر بشكل حاد في قسنطينة، بحيث بلغ عدد المصابين بالجدري أكثر من 2000، وفي نفس الفترة استهدف الجدري مدينة البليدة وكتب الدكتور فينو (vino) "لم يعد غريبا أن تصادف في شوارع البليدة وطرقها رجالا وأطفالا مستلقين في الوحل شبه عراة وقد غطت التقرحات أجسادهم أما في سنة 1846 حل الجدري في معظم المدن الجزائرية مسببا خسائر بشرية كبيرة خاصة في صفوف الأطفال، حيث نجد أنه من أصل 2 أطفال يوجد واحد مصاب بالجدري، أي بنسبة 50 % خاصة الأقل من 13 سنة " (Bertherand, 1855 p.253)، كما شهدت سنة 1847 انتشار وباء الجدري بمنطقة شرشال وتنس وثنية الحد وثلث السكان أصيبوا بهذا الوباء، ثم انتقل إلى سطيف في شهر جويلية من نفس السنة وتلمسان وقسنطينة وباتنة والقالة وشرشال استمر الوباء بحصد الأرواح حيث أعلنت التقارير سنة 1849 خلال حملة تفتيشية بمدارس مدينة الجزائر قام بها الطبيب أغنولي (aganoli) مدير التلقيحات العامة عن وجود 452 حالة جدري وسط أطفال المدارس التي تم تفتيشها والبالغ عددهم 528 تلميذ، ليغيب الوباء عن الجزائر لعدة سنوات ويعود للظهور في أسوء السنوات التي عرفتها الجزائر 1865 - 1867 - 1868 فى سنوات الجراد والجفاف والمجاعة، فانتشر بشدة في مدينة قسنطينة ومعسكر إضافة إلى انتشاره في سكيكدة والأصنام التي فقدت نسبة كبيرة من سكانها خاصة الأطفال ، أما الناجون فقد أصيبوا بالعمى والإعاقة ، وفي سنة 1869 عم وباء الجدري الجدري كل أرجاء العالم ولم يستثن الجزائر إلا أنه لم يكن خطيرا عليها مثل الذي حدث في سنة 1877 وسط فئة الأطفال في مدينة الجزائر، مما أدى بالسلطات الصحية الفرنسية إلى إغلاق المدارس ما بين 8

نوفمبر و19 جانفى 1878، وقد قدر عدد المصابين بهذا الوباء 473 طفل وكان أخطر ظهور له في الفترة ما بين سنتي 1896- 1899، كما برز أيضا وباء آخر هو الكوليرا CHOLERA MORBUS ويعد وباء الكوليرا من أخطر الأوبئة أيضا التي ضربت الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية خاصة في القرن التاسع عشر، والكوليرا مرض خطير تسببه بكتيريا وبائية تسمى (Vibrion Chlorique) تصيب الأمعاء الدقيقة، وتتمثل أعراض الكوليرا في الإسهال الشديد وبالتالي الإجتفاف السريع الذي يؤدي إلى الهلاك في ظرف أيام قليلة، وكان أول ظهور لوباء الكوليرا بمدينة الجزائر إلى شهر جويلية 1832، إذ تم تسجيل 232 حالة كوليرا، وما يجدر الإشارة إليه أن وباء الكوليرا الذي اجتاح مدينة الجزائر عام 1832 وما لوحظ أن هذا الوباء لم يضرب مدينة وهران وضواحيها، إذ أشار رئيس المكتب الصحي لوهران أن الصحة كانت جيدة بهذه المدينة إلى غاية 5 جانفي 1834 حيث اجتاحت الكوليرا مدينة وهران متسببة في عدد كبير من الضحايا حيث انتقلت اليها العدوى عن طريق المهاجرين القادمين من إسبانيا وجبل طارق (Vincent & Collardot, 1867, p.09) وفي 26 سبتمبر 1834 عاد الوباء وضرب بقوة القطاع الوهراني، حيث ظهرت أولى حالاته من خلال إصابة شخصين بالقرب من ميناء المرسى الكبير حيث ترجع الحالتين لرجل يعمل جزارا بالميناء وامرأة تسكن معه والذي انتقلت العدوى إليه من شواطئ اسبانيا وتحديدا قرطاجنة وجبل طارق، وبعدها انتشر الوباء في كل أنحاء المدينة إذ مس جميع الفئات خاصة اليهود الذين يقطنون الأحياء والتي هي بيئة انتشاره (DeCastelfran, 1965, p.37)، أما ناحية الشرق فقد تسلط عليها الوباء في نفس الفترة خلال شهري أكتوبر ونوفمبر حيث أودى بحياة حوالي 850 ضحية بمدينة عنابة، وفي السنة الموالية أي 1835 فقدت شهدت عمالة الجزائر إصابة العديد من السكان بسبب وباء كوليرا، هذا الأخير الذي انتقل إليها بسبب باخرتين قادمتين من مدينة مرسيليا وطولون حيث انتشر الوباء بشكل رهيب وسط السكان حيث أودي بحياة 966 شخص منهم حوالي 190 أوروبي و293 حضري و477 يهودي، إذ كان اليهود أكثر الأجناس تضررا من هذا الوباء ليبقى ظهوره طفيفا خلال سنة 1837، ليتفجر من جديد سنة 1849 ليضرب بقوة القطاع الوهراني حيث توفي ثمن السكان في 40 يوم (Vincent & Collardot, 1876, p.144) أما مدينة الجزائر فقد تسلط عليها هي الأخرى في نفس السنة بصفة كبيرة جدا وتسبب في وفاة 782 شخص من بين 1042 (أبو القاسم سعد الله، 1998، ص.227) إصابة كما عرفت سنة 1850 ظهور جديد للكوليرا ضرب هذه المرة عمالة الشرق قسنطينة بسبب المهاجرين الذين قدموا من تونس عن طريق البحر (Bertherand, 1985, p.07)

وقد تحسنت بعد ذلك الوضعية الصحية ولم يعد هناك أثر للوباء إلا أن تلك الوضعية لم تدم طويلا فمع حلول عام 1854 عاد وباء الكوليرا من جديد ليضرب عمالة الغرب وهران، كما عرفت عمالة الوسط الجزائر هي الأخرى ظهور الوباء في شهر جويلية 1854 ويعود السبب في ذلك إلى السفن الآتية من مرسيليا، أما عن مدينة قسنطينة فيشير بأن هذه المنطقة هي الأقل تضررا من هذا الوباء باعتبارها بعيدة عن منطقة الوباء، وكذلك بعدها عن موانئ البحر المتوسط والسفن الآتية من مرسيليا وطولون مقارنة بوهران والجزائر العاصمة، وفي سنة 1867 ضرب الوباء مجددا الجزائر مخلفا أعدادا كبيرة من الضحايا، حيث تذكر المصادر وفاة 8621 شخص بالوباء في مقاطعات الجزائر الثلاث، وكان هذا العدد مرتفعا نتيجة لسنوات القحط والمجاعة في تلك السنة. ليبدأ في التراجع مع ربيع 1868 (Kateb, 2010, p.36) ليظهر من جديد سنة 1884 في مقاطعة الجزائر بسبب قدوم مهاجرين من إسبانيا إلا أن عدد الإصابات كان قليلا وفي سنة 1893 انتقل الوباء إلى مدينة الجزائر من المناطق الشرقية بسبب عودة الحجاج من مكة المكرمة حاملين معهم العدوى وكان هذا أخر وباء الكوليرا ضرب الجزائر خلال القرن التاسع عشر (19م) (Kateb, 2010, p.52)

خاتمة:

إن التطرق لموضوع الامراض والأوبئة في الجزائر وخاصة خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية يبين لنا واقع الوضع الصحي السيء الذي عانا منه الجزائريون ليس في بداية الاحتلال فقط بل وعلى طول الفترة الاستعمارية فقد شهدت انتشارا رهيبا لمجموعة من الأمراض والأوبئة لم تشهدها الجزائر من قبل كما أن السياسة التعسفية الاستعمارية جعلت الوضع يزداد سوءا ومهدت الطريق للانتشار السريع لتلك الامراض كما وأنها أوجدت لها مناخا مساعدا وذلك بنشرها للفقر والمجاعات والظروف الصحية السيئة، وقد عانت الجزائر بفعل ذلك من العديد الأمراض التي كانت سببا في موت المئات بل والآلاف من الجزائريين وكذا تدبدب البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري في تلك الفترة، ومع محاولة الاستعمار لعب دور محوري في هذا الأمر ومحاولتها مساعدة الجزائريين قصد استمالتهم الى جانبها إلا ان مساعداتها لم ترق إلى مساعدة كل الجزائريين وخاصة وأنها خصصت كل مقومات المنظومة الصحية لديها للمستوطنين والجنود و لم ينل الجزائري منها سوى الحظ القليل من الاهتمام من قبل الادارة الاستعمارية وهذا ما زاد في انتشار تلك الأمراض وصعوبة التصدي لها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله . (1998). تاريخ الجزائر الثقافي 1830/ 1854 (المجلد 7). بيروت: دار الغرب الاسلامي.
2. خوجة حمدان بن عثمان. (1982). المرآة . (محمد العربي الزبيري، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
3. خوجة حمدان بن عثمان. (1988). إتحاف المنصفين من الأدباء في الاحتراس عن الوباء. الجزائر: ذخائر المغرب العربي.
4. سعد الله أبو القاسم. (2009). محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث -بداية الاحتلال-. الجزائر: عالم المعرفة.
5. عائشة غطاس . (1983). الوضع الصحي في الجزائر خلال العهد العثماني . مجلة الثقافة (76)
6. علامة صليحة. (جانفي، 2015). تاريخ الأوبئة في الجزائر (الطاعون، الجدري، التيفوس، الملاريا). مجلة القرطاس (2).
7. مصطفى خياطي. (2011). الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية. الجزائر: منشورات ANEP.
8. مصطفى خياطي. (2013). الأوبئة والمجاعات في الجزائر. (يوسفي حضرية ، المترجمون) الجزائر: منشورات ANEP.
9. M. A. Vincent & v. Collardot. (1867). Le cholera d'après les neufs épidémies qui ont régné à Alger، depuis 1835 jusque 1865. Paris: edi Victor Rozier.
10. P. Vignes De Castelfranc. (1965). Histoire cholera Mordus a Oran. Paris: Baillière Libraire.
11. Adolphe Armand. (1854). L'Algérie médicale. Paris: librairie de Victor Masson.
12. Antoine Caron & Laurence Alvodo. (1989). La rousse médica. librairie Larousse.
13. Domart A & bourneuf J. (1981). Nouveau Larousse médical. Paris: Ludraire Larousse.
14. E. L. Bertherand. (1855). Médecine et Hygiène des arabes. Paris: Germer Bailliére.
15. E. L. Bertherand. (1985). Le cholera en Algérie Années 1849- 1850 et 1851. Alger: typographique et lithographique Bastide.
16. Edouard Papper. (1891). de la Malaria. Paris: Masson éditeur.
17. J.C. Crespin. (1901). La Fièvre Typhoïde dons les pays chauds – région pretropicale، Algérie، Paris: J.B. Bailliere et fils.
18. Jacques Quevauvilliers. (2007). Dictionnaire médical de poche. Paris: Elsevier Masson.
19. Kamel Kateb. (2010). Européen، «Indigènes» et Juifs en Algérie (1830- 1962). Alger: édition et Maarifa.
20. Luis Merz. (1882). Contribution a l'étude du typhus exanthématique ، Lyon: imprimerie a. Waltener et C.